بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له٠

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

"أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة "[4].

أما بعد،

فإن الشعر يعد – بحق- من أروع الألوان الأدبية التى أنتجتها قريحة الإنسان؛ لما ينطوى عليه من المجالات الفنية الخصبة التى لا تزال تنبض بالحياة والحيوية .

١- سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .
٢- سورة النســـــاء : الآية ١.
٣- سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١ ، وهذه هى خطبة الحاجة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه٠ "يراجع: صحيح مسلم، بشرح النووى، ١٥٧/٢/٣ ، دار الريان للتراث ١٩٨٧م٠
٤- صحيح مسلم، شرح النووي، ١٥٣ /٢/٣، متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وإنما كان الشعر كذلك؛ لأنه يستمد أفكاره ومضامينه من واقع البيئة التى يحيا فيها الأديب،معبرا عن الآمال والآلام،من خلال انصهاره فى بوتقة الواقع الذى يتلقى الأديب وحيه من خلاله.

وهذا مبنى على أساس من الصلة القوية التى تربط بين الأدب بوجه عام والحياة فى شتى مجالاتها، وهذا يعنى أن أدب كل أمة صورة واضحة المعالم لها فى شتى ظروفها وأحوالها .

ولهذا، فليس بمستغرب أن يأتى الشعر المصرى فى القرن العشرين – بما يتحقق فيه من مبدأ المعاصرة – حاملا بين طياته كثيرا من القضايا الوطنية والسياسية والاجتماعية، والثقافية، والمشكلات الشخصية السائدة، ثم يعكس ظلال الوعى القومى تجاهها .

ومن ذلك ندرك: أن كثيرا من الشعراء كانوا ينظمون أشعارهم، وقد وضعوا أمام عيونهم قضايا بلادهم، ومشاكل وطنهم ، واتخذوا من هذا الشعر وسيلة للإصلاح والتقويم، وبث الوعي، وإيقاظ الهمم الغافلة .

ولعل مما يعبر عن هذه النظرة قول الشاعر **"إبراهيم ناجى"** [1]:

قل للذى يبغى الصلاح لقومه ... بنبيل صنع أو شريف جهاد

بالطب أو بالشعر أوبكليهما ... كل الجهود فداء هذا الوادى!

لا خير فى قلم إذا هو لم يكن ... حرا طهورا كالشعاع الهادي

فالطب والشعر سواء فى إصلاح المجتمع، الأول يصلح من فساد الأبدان والثانى يصلح من فساد الأفكار الشائعة فى المجتمع، والهدف بناء أمة قوية متماسكة.

والحق، أن ظروف الحياة السياسية فى القرن العشرين، بما وجد فيها من احتلال أجنبى بغيض، ثم من فرض للحماية على البلاد، ثم مشكلة الامتيازات الأجنبية، وما كان

١- الأعمال الكاملة ج٣/١٤٠ "الكامل التام".

من قهر وإذلال للشعب المصري، وما تبع ذلك من ظهور المشاكل الاجتماعية، والقضايا الفكرية التى غصت بها الحياة المصرية.

كل ذلك كان دافعا قويا إلى صب الشعراء المصريين جام غضبهم وسخطهم على عدوهم ومحتل أرضهم، من خلال منظوماتهم الشعرية الساخنة، والتى بدت "السخرية" فيها فنا أدبيا متميزا.

وقد كان هذا دافعا قويا إلى اختيارى لموضوع: "السخرية فى الشعر المصرى فى القرن العشرين" موضوعا لبحثي[1] لنيل درجة الدكتوراه .

- **وكان من دوافع اختيارى هذا الموضوع أيضا**: أن المصريين كانوا فى هذه الآونة – القرن العشرين- فى أشد الحاجة إلى إيقاظ كل ذرة فى كيانهم لينظروا إلى حجم الأخطار التى تحيط بهم من كل جانب على أيدى أعدائهم المحتلين، الذين يتربصون بهم الدوائر "فكانت السخرية" هى المنظار الذى يرى المصريون – من خلاله – أعداءهم ، ويعوفون أساليبهم الخسيسة.
- **ومن الدوافع**: أن الناس قد جرت العادة – فيما بينهم- أن ينظروا إلى السخرية نظرة امتعاض وتقزز، وخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عنها نهيا صريحا فى سورة الحجرات، فأردت أن أكشف اللثام عن حقيقة قد تخفى عن كثير من الناس، وهى أن السخرية التى نهى عنها القرآن الكريم: هى ذات الطابع الجماعى الذى يهدم المجتمع الإسلامى ويزعزع وحدته، وهى سخرية تسيطر عليها دوافع خبيثة بهدف الإساءة إلى الآخرين، وهى عادة ما تكون محملة بالحقد والكراهية.

١- البحث بهذا التحديد يسير فى ظلال ثلاثة أطر:
(أ) إطار مضمونى : وهو دراسة شعر السخرية من نواحيه المتعددة.
(ب) إطار فنوى : وهو ما يتمثل فى اختيار الشعراء المصريين فقط.
(ج) إطار زمنى: وهو ما يتمثل فى فترة القرن العشرين.

أما السخرية الأدبية – التى هى محل دراستنا – فهى أسلوب نقدى له ميزاته الفنية، ويعد فى واقع الأمر بناء للحياة، وحارسا للمثل العليا فيها[1].

ويضاف إلى ما ذكرته من قبل – فى أهمية هذا الموضوع: أنه يعد تمثيلا وتصويرا صادقا لكثير من الظواهر التى ظهرت فى القرن العشرين، والتى كانت نتاجا لمجموعة من العوامل السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية والمسائل الشخصية.

- هذا، وقد واجهتنى صعوبة فى أثناء العمل فى هذا البحث، وقد عانيت بسببها كثيرا، وتتمثل هذه الصعوبة في: أن أغلب الشعراء المصريين فى القرن العشرين لم يكونوا يهتمون بوضع تاريخ لقصائدهم، وقد اضطرنى ذلك إلى الرجوع إلى أكثر من طبعة للديوان الواحد- إن وجد ذلك – للنظر والتأكد، كما ألجأنى ذلك إلى الرجوع إلى كثير من الدراسات والشروح السابقة، فقد تهدينى إلى تاريخ أو تفتح لى بابا يوصل إليه.

يضاف إلى ذلك: أن بعض القصائد كانت تحمل محدثا معينا، فيمكن إرجاعه إلى زمنه من خلال النظرة التاريخية الشاملة، فالقصائد التى تشيع فيها الروح الوطنية ضد الاحتلال – مثلا- هى من النتاج الشعرى السابق لعام ١٩٢٢م والقصائد التى تشيع فيها الروح السياسية – مثلا – فهى من النتاج الشعرى التالى لهذه المرحلة .. وهكذا

- ومن الضرورى أن أشير – هنا- إلى بعض الدراسات التى سبقت هذا البحث وكان لها عليه فضل كبير، وإحسان عظيم لا يمكن إنكاره.

ومن هذه الدراسات ما يلي:

(١) الفكاهة فى الأدب أصولها وأنواعها، د. أحمد محمد الحوفى، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٩٥٦م.

١- سيأتى – إن شاء الله – تفصيل لهذه القضية فى الفصل الأول من الباب الأول فى هذا البحث.

(٢) الفكاهة فى مصر، د٠شوقى ضيف، سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال العدد/٨٣، ١٩٥٨م٠

(٣) السخرية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د٠نعمان محمد أمين طه، الطبعة الأولى، دار التوفيقية للطباعة بالأزهر ١٩٧٨م٠

(٤) السخرية فى أدب المازني، د٠ حامد عبده الهوال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م .

(٥) السخرية فى شعر البهاء زهير، د٠ محمد حسين عبد الحليم، الطبعة الأولى الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٠م٠

(٦) الهجاء فى الأدب الأندلسي، د٠ فوزى سعد عيسى، دار المعارف "بدون تاريخ"٠

(٧) الأدب الساخر، د٠ نبيل راغب، الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة مكتبة الأسرة عام ٢٠٠٠م٠

أما المنهج الذى اتبعته فى هذه الدراسة، وفرضته طبيعة الموضوع، فهو **"المنهج التاريخي"** وهو منهج يحاول الكشف عن مدى تأثر العمل الأدبى وصاحبه بالوسط ومدى تأثيره فيه، كما أنه يساعد فى دراسة الأطوار التى مر بها فن من فنون الأدب،أو لون من ألونه.. لنستدل منها على لون التفكير السائد فى عصر من العصور[١] .

وقد أفادت الدراسة من هذا المنهج: فى التقسيمات الزمنية التى تشير إلى تطور فن السخرية عبر الفترات التاريخية المتلاحقة، مراعين فى ذلك التدرج الزمنى التصاعدى للأحداث، حتى فى ذكر الشواهد ذاتها داخل الموضوع الواحد، راعيت هذا الأمر أيضا، اللهم إلا فى القليل النادر الذى استدعى المقام فيه تقديم شاهد لشاعر أقرب زمنا على شاعر أخر أقدم منه فى الزمن٠

١- راجع فى ذلك: النقد الأدبى أصوله ومناهجه، سيد قطب/١٤٦ الطبعة السابعة، دار الشروق بالقاهرة ١٩٩٣م٠

obeikandl.com

ومما هو ضروري: أن أشير – هنا – إلى أن "المنهج التاريخي" لم يستقل بنفسه استقلالا تاما فى هذا البحث ، وإنما كان لغيره من المناهج نصيب، وإن كان هذا النصيب ضئيلا بجانب نصيب المنهج التاريخي.

فقد ظهر "المنهج النفسي" فى محاولة الربط بين النص وصاحبه، وبيان أثر العوامل الطارئة، أو الخارجية على نفسية الأديب، وانعكاس ذلك على أدبه.

كما ظهر "المنهج الفني" فى جمع النصوص وتذوقها، ومحاولة الكشف عما تنطوى عليه من قيم فنية، سواء أكانت قيما شعورية أم تعبيرية.

ومع ذلك ، فقد بقيت الغلبة للمنهج التاريخى الذى قامت على أسسه ومبادئه هذه الدراسة.

- هذا، وقد قام هذا البحث على مقدمة وثلاثة أبواب ، ينضوى تحت لواء كل باب منها عدة فصول:

أما الباب الأول: فيحمل عنوان: **"السخرية فى الشعر العربى القديم: تحديد المصطلح وضبط الدلالة"** ويحتوى على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مقدمات مهمة حول فن السخرية.

الفصل الثاني: السخرية فى الشعر العربى القديم .. النشأة والتطور

الفصل الثالث: السخرية فى مصر الإسلامية عبر عصورها التاريخية.

أما الباب الثاني: فيحمل عنوان: "الاتجاهات الموضوعية للسخرية فى الشعر المصرى فى القرن العشرين" ويحتوى على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: السخرية فى المجال الوطنى والسياسي.

الفصل الثاني : السخرية فى المجال الاجتماعي.

الفصل الثالث : السخرية الشخصية.

أما الباب الثالث: فيحمل عنوان: "التصوير الأدبي"٠

ويحتوى على ثلاثة فصول:

الفصل الأول : الألفاظ والأساليب فى شعر السخرية٠

الفصل الثانى : الصورة الشعرية الساخرة ٠

الفصل الثالث : الموسيقى الشعرية٠

أما بعد، فهذا كتابى المتواضع، قد وضعته بين يدى قرائى الأعزاء ، ليقولوا فيه كلمتهم ، فإن كنت مصيبا فبفضل من الله وعونه، وإن كنت مقصرا فمن نفسى وضعفي وحسبى أننى بشر٠٠٠٠٠٠٠ **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

سعيد أحمد غراب

obeikandl.com